

المثل السائر

وسأبين ذلك فأقول عطف المستقبل على الماضي ينقسم إلى ضربين أحدهما بلاغي وهو إخبار عن ماضٍ بمستقبل وهو الذي أنا بصدد ذكره في كتابي هذا الذي هو موضوع لتفصيل ضروب الفصاحة والبلاغة والآخر غير بلاغي وليس إخبار بمستقبل عن ماضٍ وإنما هو مستقبل دل على معنى مستقبل غير ماضٍ ويراد به أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يمض .

فالضرب الأول كقوله تعالى (وإِذْ أَرْسَلْنَا رِيَّاحًا فَتَفِثْنَا سَنَاقًا فَسَنَّاهُ إِلَىٰ بِلَدٍ مِّمَّا فَاتُخْتَلَفْنَا فِي الْإَرْضِ عَنْ قَوْمِهِمْ ثُمَّ أَفْجَيْنَاهُمْ أَصْحَابَهُمْ فَسَمَوْا أَسْمَآءَ ثُمَّ يَرْفَعُونَ رِجْلَهُمْ وَمِمَّا حَوَّلْنَا مُوَدِّعَهُمْ هَاجِلًا فَاصْتَفَتْ بِهِمْ حَقِيلًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ عَشْرَ كُلِّ يَوْمٍ فَذُكِّرُوا إِلَىٰ يَوْمِ يُدْعَىٰ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي حَقِّ ذِكْرٍ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فإنه إنما قال (فتثير) مستقبلاً وما قبله وما بعده ماضٍ لذلك المعنى الذي أشرنا إليه وهو حكاية الحبل التي تقع فيها إثارة الريح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك .

وعلى هذا الأسلوب ما ورد من حديث الزبير بن العوام B في غزوة بدر فإنه قال لقيت عبدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لامةٌ كاملة لا يرى منه إلا عيناه وهو يقول أنا أبو ذات الكئوس وفي يدي عنزة فأطعن بها في عينه فوقع وأطأ برجلي على خده حتى خرجت العنزة متعقفة فقوله (فأطعن بها في عينه وأطأ برجلي) معدول به عن لفظ الماضي إلى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من الإقدام والجرأة على قتل ذلك الفارس المستلثم ألا ترى أنه قال أولاً لقيت عبدة بلفظ الماضي ثم قال بعد ذلك فأطعن بها في عينه ولو عطف كلامه على أوله لقال فطعنت بها في عينه